

1- تعريف الرسم العثماني:

يُقصد بـ«الرسم العثماني» الكتابة التي كُتِبَ بها مصحف عثمان بن عفان. وهذا الرسم ما زال سُنَّةً مُتَّبَعَةً إلى يومنا هذا، وذلك لأنَّ رسوم الهجاء تتغيَّر جَرِيًّا على سُنَّةِ التطوُّر، وتختلف، في تغيُّرها، من زمن إلى زمن، ومن شَعْبٍ إلى شعب، فصيانه لكتاب الله من عبَث العابثين، وإغلاقًا لباب التغيير فيه، وإحداث ما ليس منه، أصبح هذا الرسم العثماني مقدَّسًا لا يُمسَّ»⁽¹⁾.

ولأجل هذا، قال الإمام أحمد: «يُحرَّم مخالفة خط مصحف عثمان في واو، أو ياء، أو ألف، أو غير ذلك»⁽²⁾. وقال البيهقي: «مَنْ كَتَبَ مصحفًا، فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به المصاحف، ولا يخالفهم فيه، ولا يُغيِّر ممَّا كتبوا شيئًا، فإنهم كانوا أكثر علمًا، وأصدق قلبًا ولسانًا، وأعظم أمانةً منَّا، فلا ينبغي أن نظنَّ بأنفسنا استدراكًا عليهم»⁽³⁾.

¹ - القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ص 18.

² - مفتاح السعادة 225/2.

³ - المصدر نفسه، 225/2.

2- تحسين الرسم العثماني:

ظلَّ الرسم العثماني محتقِظًا بجوهره، إلى يومنا هذا، لكنَّ تحسينات أدخلت عليه،

من غير أن تعبت بجوهره، ومن هذه التحسينات:

أ- **الشَّكْل أو العلامات الإعرابية:** كانت الخطوط السامية المتفرعة من الفينيقية خالية من الحركات، وكان الكاتب السامي يكتفي برسم الحروف الصامتة Les consonnes دون الحروف الصائتة Les voyelles⁽⁴⁾ لذلك كانت الكلمة السامية، والكلمة العربية خاصة، تُقرأ بأوجه مختلفة⁽⁵⁾. وكان معظم العرب عند ظهور الإسلام أميون لا يعرفون القراءة، والكتابة، أما القلة التي تعرفهما، فكانت تستغني عن الحركات بما عندها من سليقة لغوية، ومملكة في الفصاحة، وبما يكتنف السياق الكلامي من قرائن. ولكن عندما ظهر الإسلام، واختلط العرب بالأعاجم، فشا اللحن في ألسنتهم، ثم تسرَّب إلى قراءة القرآن الكريم، فهاهم الأمر، ولجأوا إلى ضبطه بالحركات. زدَّ على ذلك أنَّ ضرورات التعلُّم، والتعليم، وقد شدَّد عليهما الدين الإسلامي تشديدًا لا نعرفه في غيره، ثوجب الضبط بالحركات.

وقد «جُرِّدَت المصاحف العثمانية جميعها ليحتملها ما صحَّ نقله، وثبتت تلاوته عن النبي (صلى الله عليه وسلم)، إذ كان الاعتماد على الحفظ لا على مجرد الخط»⁽⁶⁾

وأجمعت الروايات العربية القديمة على أنَّ اللحن الذي انتشر بين العرب بعد الفتوحات الإسلامية، واختلاطهم بالعجم، والذي تسرَّب إلى قراءة القرآن الكريم، هو السبب في ضبط الكلمات العربية بالحركات، وخاصة حركات الإعراب، فإن هذه الروايات نفسها تختلف في من وضع هذه الحركات، وبإشارة من وضع ذلك⁽⁷⁾. وأغلب الظنَّ أنَّ أبا الأسود الدؤلي هو الذي ضبط القرآن الكريم بالشكل، متخذًا النقط للدلالة

⁴- أنيس فريحة: «حروف الهجاء العربية: نشأتها، تطورها، مشاكلها»، ص 18.

⁵- فلو افترضنا أنَّ كلمة مركبة من «ك ت ب» وردت في نقش عربي قديم، فإنَّ إمكانيات قراءتها عديدة جدًّا، ومنها: كُتَبَ، كُتَّبَ، كُتِبَ، كُتِبَ، كُتَبَ، كُتِبَ، كُتِبَ، كُتِبَ، كُتِبَ، كُتِبَ..

⁶- النشر في القراءات العشر، ص 7.

⁷- جمع هذه الروايات وقارن فيما بينها وناقشها الدكتور مازن المبارك في كتابه: النحو العربي، العلة النحوية، نشأتها وتطورها، ص 10- 38.

على الحركات، ويؤثر عنه أنه قال لكتابه: «إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف، فانقط نُقْطَةً بين يدي الحرف، وإذا كسرت فمي، فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن أثبتت شيئاً من ذلك غُتَّةً، فاجعل النقطة نُقْطَتَيْن»⁽⁸⁾.

وكان الكتاب يكتبون هذه النقط (نقط الشكل) باللون الأحمر، خاصين الهمز المحقق، أي النبرات، باللون الأصفر، ومنهم من اقتصر على استعمال اللون الأحمر وحده للحركات، والهمزات⁽⁹⁾. وقد وجدت بعض المصاحف التي يعود تاريخها إلى القرن الثاني الهجري مشكولة بالنقط حسب طريقة أبي الأسود الدؤلي⁽¹⁰⁾. ويرجح الباحثون أن أبا الأسود الدؤلي قد اقتبس طريقة الإعراب هذه عن السريان الذين كانوا يلجأون إلى نظام النقط في تشكيل كتبهم بصورة خاصة، والمقدسة منها بصورة أخص⁽¹¹⁾.

ب- **التنقيط:** كانت الخطوط السامية، ومنها الخط النبطي الذي اشتق منه الحرف العربي، خالية من النقط الذي يميز الأحرف المتشابهة في الرسم، وكانت المصاحف الأولى المكتوبة في القرن الأول الهجري دون إعجام⁽¹²⁾، وكان هذا سبباً من أسباب اختلاف القراءات والتصحيف. ويروى أنه لما كثُر التصحيف في العراق، فزع الحجاج بن يوسف الثقفي، إلى كاتبه نصر بن عاصم، ويحيى بن يعمر في خلافة عبد الملك بن مروان، وسألهم أن يضعوا علامات لتمييز الحروف المتشابهة. وبعد التفكير والمراجعة تقرّر وضع النقط بشكلها الحالي وبمداد الكلمة نفسه، لأنّ نقط الحرف جزء منه⁽¹³⁾.

ج- **الشكل بالحركات المعروفة اليوم:** كان الناس في العصر الأموي يُشكّلون الكلمات بواسطة التنقيط الذي وضعه أبو الأسود الدؤلي، كما ذكرنا منذ قليل، وكان التنقيط بصنغ مخالف لصنغ الحروف، لكنهم مالوا في أوائل العصر العباسي، لأجل التسهيل، إلى كتابة الشكل بمداد الكتابة نفسه، لا بصنغ مخالف. وكان من الطبيعي أن يؤدي هذا إلى اختلاط نظام الشكل بنظام الإعجام، وأن يُهدّد من جديد بنوع من اللبس والتصحيف، مما حمل

⁸- أبو الطيّب اللغوي: مراتب النحويين. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ص 37.

⁹- انظر أبو عمرو الداني: المحكم في نقط المصاحف، ص 19 – 20.

¹⁰- انظر بعض النماذج منها في كتاب كامل البابا: روح الخط العربي، ص 43 – 44.

¹¹- انظر: أنيس فريحة: الخط العربي نشأته ومشكلته، ص 48 – 50، وإبراهيم جمعة: قصة الكتابة العربية، ص 50.

¹²- نقصد بالإعجام هنا تنقيط الحروف لتمييز الأحرف المتشابهة بعضها من بعض.

¹³- ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج 1، ص 344، وإبراهيم جمعة: قصة الكتابة العربية، ص 52.

الخليل بن أحمد الفراهيدي على وضع طريقة أخرى للشكل مستخدمًا الحركات التي ما
زلنا نستعملها حتى اليوم⁽¹⁴⁾.

د- **كتابة الهمزة:** استخدم كُتِبَ المصاحف طرقًا متعدّدة للرمز إلى الهمزة، إلى أن جاء
الخليل بن أحمد الفراهيدي، فوضع رمزًا جديدًا للهمزة، فقد اقتطع رأس العين، لقرب
الهمزة منها صوتيًا، وجعلها رسمًا للهمزة، ولم يلبث أن شاع هذا الرمز بين كتّبة
المصاحف، ولكن مع بقاء الكتابة الأولى، فكتبوا «يستهنئون» بياء وهمزة معًا،
و«يؤمنون» بواو وهمزة أيضًا، ليقرأ بالهمزة من حقّقها، وبالياء والواو من سهّلها. وكان
هذا أصل الازدواج في كتابة الهمزة⁽¹⁵⁾.

¹⁴ - القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا 157/3، وإبراهيم جمعة: قصة الكتابة العربية ص

53.

¹⁵ - إبراهيم مصطفى: «اقتراح بشأن كتابة الهمزة»، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، المجلد
22، الجزء 1، ص 22.